أزمة المرأة والأسرة في الغرب[1]

الكاتب: عبد الرسول هاجري

التعريب: محمّد حسين خليق

المقدّمة

الأسرة أهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك، وبتعبير أعمّ هي أهل بيت الإنسان وعشيرته. وأصل الأسرة الدرع الحصينة، وأُطلقت على أهل بيت الرجل (عشيرته ورهطه الأدنين)؛ لأنّه يتقوّى بهم[2]. وإذا أردنا أن نقارب المعنى اصطلاحًا نقول: هي رابطة اجتماعيّة تتكوّن من زوج وزوجة وأطفالهما، يحكمها ويسيّر شؤونها نظام حقوق وواجبات. وقد تتسع لتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة.

والأسرة وحدة اجتماعيّة مكوَّنة من مجموعة من الأشخاص، وإذا لم تُنظّم العلاقة بينهم وفق قواعد واضحة، فسوف يؤدّي ذلك إلى الهرَج والمرَج والفوضى العارمة، وإذا كان الإسلام قد اعتبر أنّ الأسرة يجب أن تقوم وتُبنى على أسس ومبادىء تحكمها المودّة والحبّ والعاطفة المتبادَلة بين أعضائها، فإنّ ذلك لا يعني غياب الجوانب الأخرى المتعلّقة بالإدارة الصحيحة بما تتضمّنه من قوانين وأنظمة وقواعد وتنظيمٍ دقيق لشؤون الأسرة وقضاياها.

المراد من الأسرة هنا هى الوحدة الأسريّة المركّبة من الزوج والزوجة والأولاد، وبعبارةٍ

١- العنوان بالفارسية: «باز شناسى پيامدهاى اجتماعى كنوانسيون»؛ البحث منشور في كتاب: «فمينيسم هانى وچالش هاى پيش رو»، للكاتب عبد الرسول هاجري، صادر عن: دفتر مطالعات وتحقيقات زنان، مركز مديريت حوزه هاى علميه خواهران، بوستان كتاب١٣٨٦.

٢- وجدي، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين، ج ١، ص ٢٧٧. وراجع: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٠، مادة أسر..

أخرى؛ الزوج والزوجة اللذين أبرَمَا بينهما عهد الحياة الزوجيّة المشتركة والدائمة، وسيشكّلان مع الأولاد حياةً مشتركةً ودائمةً، فمن الأعضاء المذكورين يلزم التأكيد على اعتبار عزم الزوجين وإرادتهما على الاستمرار في الحياة المشتركة والدائمة؛ وذلك من أجل أن يتمّ فصل حساب الأسرة عن النماذج المشابهة (أي العلاقات الحرّة والمؤقّتة)؛ ولهذا نقصد بأزمة الأسرة في الغرب وانهيارها في هذا البحث ظهورَ عدّة أمور من أهمّها؛ انخفاض نسبة الزواج وتشكيل الأسرة وازدياد عدد النساء والرجال الذين يعيشون وحدهم. وتزايد حالات الطلاق وانهيار عدد الأسر التي تم بناؤها. وازدياد عدد الأطفال من دون رعايةٍ أسريّةٍ والحياة مع أحد الوالدين فقط.

أولًا: الأسر في المجتمعات البشرية: الضرورة والوظيفة

من بين المؤسّسات الخمس الرئيسة في المجتمعات البشريّة (الأسرة، والتعليم، والمذهب [أو الدين]، والحكومة، والاقتصاد)، وتعدّ الأسرة من أقدم المؤسّسات الاجتماعيّة وأكثرها رواجًا وتأثيرًا، وثمّة القليل من المجتمعات طيلة التاريخ يمكن إيجادها خالية من نوع من أنواع الأسر وأنماطها، والأسرة في الحقيقة هي بداية الحياة الاجتماعيّة وظهور الحضارات الكبرى؛ من هنا: «النواة الرئيسة للحضارة والمجتمعات المتحضّرة» هي الأسرة[١].

وإنّ الاتّجاه الدائم للمجتمعات البشريّة إزاء هذه الظاهرة الاجتماعيّة يكشف عن تعدّد الوظائف والمسؤوليّة الرئيسة للأسرة وتنوّعها بالنسبة للحاجات المختلفة الفرديّة والاجتماعيّة بأبعادها المادّية والمعنويّة، أمّا طاقة الأسرة ووظائفها الواسعة العالية فهي على درجة من الوضوح والبداهة، بحيث لم تعجز المجتمعات الأوّليّة والبدائيّة عن إدراكها وقبولها، فتنظيم السلوك الجنسي والإنجاب وتثبيت المكانة الاجتماعيّة، وتوفير الأمن الاقتصادي والتعليمي وتربية الأطفال تربية اجتماعيّة، ومراقبة الأولاد والعجزة وكبار السنّ ورعايتهم[٢]، وتأمين الحاجات العاطفيّة... كلّ ذلك من جملة الوظائف التي ليس

١- انظر: جنس دوم، ص١٧٩.

٢- پروپس كوئن، در آمدى بر جامعه شناسى، ترجمه محسن ثلاثى. ١٣٧٠.

بمقدور أيّ مؤسّسةٍ أو مركزٍ لعب دورٍ بديل للأسرة فيها، أمّا أصحاب الرأي وعلماء الاجتماع والناقدون الاجتماعيّون والشخصيّات السياسيّة والمؤسّسات الدوليّة بدأوا ينعون -لهذا السبب بالتحديد- انهيار أسس الأسر في الغرب، وبدأوا بدقّ ناقوس الخطر في المجتمعات الصناعيّة في الغرب كما ستتمّ الإشارة إلى ذلك في الآتي.

ثانيًا: الأسرة وانهيارها في المجتمعات الصناعيّة الغربيّة

يقول «إلوين تافلر» في الموج الثالث: "إنّ انهيار الأسر في الواقع جزء من الأزمة العامّة في النظام الصناعي الغربي الذي بدأ الكلّ يشهد تفكّك كلّ المؤسّسات في عصر الموج الثاني؛ إنّها سيرورة مؤلمة تنعكس في حياتنا الفرديّة ويقلب رأسًا على عقب نظام الأسرة لدرجة لا يمكن إعادة معرفتها"[١].

وتعلن "اليونسكو" من خلال رسالتها هذه الحقيقة بأنّ الأسرة في أوسع مفاهيمها كلمةٌ دالّةٌ على منشأ النفس والذات وملجأ لها، إنّها مؤسّسة تتضمّن أحكامًا وسلسلة من الإجراءات التي قد تبدو ظالمة في الوهلة الأولى بالنسبة لبعض الأشخاص، لكنّها تمنح الجميع الأمن والأمان، والأسرة منذ آلاف السنين كانت أكثر المؤسّسات تماسكًا واستقرارًا وتأثيرًا لحفظ الخصائص الثقافيّة للناس وسببًا لانتقال هذه الخصوصيّة إلى الجيل اللاّحق، لكن هذه العلاقة بدأت بالضعف[٢].

أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر» أيضًا قبل عقود ثلاث عن دعمه للأسرة في برنامجه الرئاسي وقال: «من الواضح أنّ الدولة الوطنيّة والقوميّة يلزم أن يكون لها سياسة لحماية الأسرة وليس لأيّ مسألةٍ أولويةٌ (Right. Now, McCall's `s, Mag1977).

إنّ القلق من انهيار الأسرة في الغرب من جملة المباحث التي بات لها حضور قوي هذه الأيّام لدى الخبراء والمنظّرين، وبالمقابل باتت أنظار المتخصّصين وأصحاب الرأي ورجالات الدولة وآراؤهم تتوجّه إلى هذه الظاهرة بشكلٍ من الأشكال، وأكثر ما يقرب من الاتّفاق التامّ بين أصحاب الرأي وعلماء الاجتماع الذين بحثوا في العقود الأخيرة في

١- استفان مور، دیباچه ای بر جامعه شناسی، ترجمه مرتضی ثاقب فر. ١٣٧٦

٢- موج سوم، ص٢٨٩.

الأسرة أكّدوا على هذه الحقيقة العارية، وحسب قول «تافلر» لقد تكلّم عن [هذه الظاهرة] المتحدّثون باسم رؤساء الدول ورؤساء مجالس الوزراء أو الجرائد أو المحاضرين الدينيّين أو... أكّدوا على هذه الأزمة»[١].

وفي هذه الأيام لا أحد يبحث عن أنّ «الأسرة في حال الانهيار أو لا»، وبدلاً من ذلك توجّهت أنظار المتخّصصين ورجالات الدولة نوعًا ما إلى مواجهة هذه الظاهرة، فبعض الفئات السياسيّة والناقدين الاجتماعيّين والمجاميع الدوليّة طالبوا بالإيقاف الفوري والجدّي لمسار دمار الأسرة في الغرب – شبيه لما ذُكر أعلاه- ودعوهم إلى التعبئة العامّة الوطنيّة وما هو أبعد من الحالة الوطنيّة للحيلولة دون ذلك، لكن هناك فئةٌ أخرى ترى أنّ فناء الأسرة وزوالها أمرٌ تدريجيٌّ وضرورةٌ تاريخيّةٌ، أي ضرورة لا يمكن اجتنابها في المجتمعات الصناعيّة، وهذه الأسرة تترك مكانها تدريجيًّا للأنواع الجديدة من العلاقات الزوجيّة (أي العلاقات الحرّة والشذوذ الجنسيّ)، وأيّ مقاومةٍ تجاه ذلك غباءٌ وضلال[٢].

ثالثًا: علائم انهيار الأسرة وفق الإحصاءات والتحقيقات الاجتماعيّة

يمكن ملاحظة علائم انهيار الأسرة وسقوطها في الغرب من خلال تحليل العناصر الآتية ودراستها:

١. انخفاض نسبة الزواج وبناء الأسرة وارتفاع عدد النساء والرجال غير المتزوّجين: إنّ الزواج في الغرب آخذ في الانحدار والغروب، وبالتالي يكون حقل الأسرة ومجالها أيضًا في مرحلة الغروب، فالنساء والرجال في المجتمعات الصناعيّة الغربيّة لأسبابٍ مختلفةٍ لا يبدون أيّ رغبة بالزواج وتشكيل الأسرة.

لقد كثرت الدراسات والإحصاءات بشأن تخفيض نسبة الزواج وتشكيل الأسرة، وفي هذا السياق جاء في دراسة «تافلر» ما خلاصته: إنّ كلّ الشواهد تدلّ على أنّ عدد الأسر

١- پيام يونسكو، ش٢٣٠.

٢- يدّعي الآخرون أن ما نحتاجه هو عدد أكبر من المرشدين في مسألة الزواج وحتى المرشدين الدينيين كي يستطيعوا تقديم صورة أفضل عن الأسرة، فهؤلاء الأشخاص يقدّمون اقتراحات تكون سخيفة وضالة بشكل كامل عادة انطلاقًا من حسن النية؛ وذلك بسبب عدم الالتفات إلى آثار ونتائج هذه الأمواج التاريخية للتحوّل في حياة الأسرة (Alvin Toffler ١٩٨٩).

المركزيّة (وكيف كان تعريفها) هي في حال النقص[١]؛ وحينئذٍ بدأت الأشكال الأخرى للأسر بالارتفاع بشكلٍ سريعٍ، فحسب كلامه وبناءً على الإحصاءات نشهد نوعًا من الارتفاع الأشبه بالانفجار لعددٍ أُحادي العائلة أو ذات المعيل الواحد (أفراد عازبون) أي الأشخاص الذين يعيشون بشكلٍ كاملٍ خارج الأسرة، فبين السنوات ١٩٧٠ و١٩٧٨، تضاعف عدد الأشخاص الذين يتراوح أعمارهم من ١٤ إلى ٣٤ وهم يعيشون وحدهم، وازداد العدد في الولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى ثلاثة أضعاف تقريبًا، أي ازداد الرقم من ١/٥ مليون إلى ٣/ ٤ مليونًا، واليوم ٢٠٪ من الأسر في الولايات المتحدة الأمريكية تتشكّل من أفرادٍ يعيشون وحدهم [ومنعزلين وغير متزوّجين] والكثير منهم يختارون هذا اللون من الحياة برغبتهم ولو لفترةٍ معيّنةٍ.

وحسب رأي «تافلر»، فإنّ ازدياد عدد هؤلاء الأشخاص كان سبب ظهور ثقافةٍ وأنشطةٍ ترفيهيّةٍ مزدهرةٍ لغير المتزوّجين، وسبّب ذلك أيضًا ارتفاع عدد البارات والحوانيت ومنتجعات التزلّج والسياحة والسفر وسائر الخدمات لأشخاص غير متزوّجين، وفي الوقت نفسه بدأت شركات البناء ببناء شققٍ سكنيّةٍ [صغيرة] للأشخاص غير المتزوّجين، وقد استغنوا بغرفة نومٍ صغيرة عن البيوت الفارهة والأبنية الكبيرة في أطراف المدينة، ونجد اليوم في الولايات المتّحدة الأمريكيّة أنّ ٢٠٪ من الأشخاص الأشخاص الذين يُقْدِمون على شراء المنزل هم غير متزوّجين[٢].

٢. تصاعد معدّلات الطلاق والانفصال في الأسر الغربيّة: إنّ الطلاق وانفصال الأزواج علامة تفكّك العلقة الزوجيّة وانهيار الأسر والحياة المشتركة، والطلاق أشبه بالأرضة التي تنخر وتُفسد الأسرة من الداخل ويطردها من مشهد الحضور الاجتماعي، والإحصاءات الواردة من خلال الدراسات الاجتماعيّة تفيد بأنّ العلاقات الزوجيّة في الغرب اليوم قد فقدت استقرارها واستمرار وجودها، وستبلع عين العاصفة عاجلاً أم آجلاً الأسر التي أنشأت مؤخّرًا.

وبناءً على الإحصاءات الواردة من قِبَل مؤسّسة الأمم المتّحدة في عام ١٩٩١م كانت

١- وحسب قول "تافلر" إن ٩٢ بالمئة من سكان أمريكا لا يندرجون ضمن إطار هذا النموذج المثالي؛ (Toffler 1989).
٢- موج سوم، ص٢٨٩.

نسبة الطلاق في أمريكا أعلى نسبة من بين الدول المتقدّمة الصناعيّة، كما أنّها تشير إلى أنّ الفئة العمريّة للنساء من ٢٥ إلى ٤٤ سنة في بعض الدول الغربية هي الأكثر فئة ازدادت نسبة الطلاق فيها[١].

إنّ تجربة الزواجات الثانية [بعد فشل الزواج الأول] في أمريكا واجهت نهاية واحدة أيضًا هي تكرار الطلاق، فبناءً على الإحصاءات الموجودة ما يقارب ٢٩ بالمئة من الأزواج الذين لهم تجربة زواج ثانية تنتهي حياتهم بالطلاق بعد الزوج في أقل من سنتين، وهذا الرقم طيلة عشر سنوات يصل إلى ٥٠ بالمئة (Wineberg. H. 1992).

وبين السنوات ١٦٥٠م و١٨٠٠م كانت نسبة الطلاق في بريطانيا وويلز ١/٥ بالمئة في السنة الواحدة، وفي عام ١٩٩٠م وصل هذا الرقم إلى أكثر من ١٥٠ ألفًا في السنة، ومن كلّ حالتي زواج في بريطانيا ينتهي واحدٌ منهما بالطلاق (الجهاز المركزي للإحصاء، ١٩٩٤، ص٣٣)، ووفقًا لهذا الوضع يبدو أنّ الحياة الزوجيّة تعاني من أزمة، والأسرة -كما بدت لنا- في حال الزوال والأفول[٢].

يشير ستيفن مور إلى ثلاثة أنواع من انهيارات الزواج في الغرب؛ وهي: الطلاق (اللغو القانوني للعلاقة الزوجية)، الانفصال (حيث يعيش كل من الزوجين بشكل منفصل)، والانفصال الخفيّ وغير المعلن الذي يُسمّى بـ: (الزواج الفارغ من الداخل) بحيث تستمرّ العلاقة بين الزوجين ظاهريًّا مع وجود انفصال في الحياة الاجتماعيّة والعاطفيّة، ومن الواضح أنّ تقويم هذا النوع الأخير من الانهيار الأسري وانهيار الزواج صعب جدًا، باعتبار أنّه تقويم لا ترافقه الإحصاءات الرسميّة والقانونيّة. وعلى أيّ حالٍ؛ لقد قلّت حالات الزواج من العام ١٩٧١م فصاعدًا إلى ١/٥ وتضاعفت نسبة الطلاق، وبالمقابل تتجلّى هذه الصورة بأنّ أساس الأسرة وبنيانها بدأ يتفكك، والأسرة كمؤسسة باتت في حال الأفول (Stephen Nooro 1995).

إنّ شيوع هذه الظاهرة في المجتمعات الغربيّة أصبح في وضعٍ طبيعيٍّ وعاديٍّ بعد

١- موج سوم، م.س، ص٢٩٤.

٢- سیمای زن در جهان - أمريكا، به نقل از: United Nations 1991.

أن كانت حالةً شاذّةً[١] حسب كلام «بروس كوئن»[٢]، وعلى سبيل المثال؛ في أحد استطلاعات الرأي نجد أنّ ٢٢ بالمئة من الأمريكيين ذمّوا الطلاق ورأوا أنّه قبيح[٣].

يلفت «جيدنز» النظر أيضًا إلى أنّ الملحوظ في نسب الطلاق في الغرب قبل ٣٠ سنة كان أقلّ نفورًا بملاحظة أعلى نسبة آنذاك؛ وكان الطلاق عملاً غير مألوفٍ وغير معهودٍ في العقود الماضية. ومع ذلك أصبح لاحقاً إلى يومنا هذا فريدًا واستثنائيًا، وإنّ أكثر الدول تسعى نحو تسهيل أمر الطلاق، فبين الأعوام ١٩٦٠م و١٩٧٠م ارتفعت نسبة الطلاق في بريطانيا بشكلٍ ثابتٍ بمقدار ٩ بالمئة، وخلال العقدين الماضيين صارت النسبة مضاعفة، وبسبب قانون العام ١٩٦٩م تضاعفت نسبة الطلاق مرّةً أخرى، أمّا نسبة الطلاق بعد العام ١٩٨٠م فقد أصبحت مستقرّةً وثابتةً نوعًا ما، لكنّه بمقارنتها مع أيّ عقدٍ سابق بقيت النسبة في أعلى مراتبها (Burgoyne, Ormord, 1987)، وحقيقة الأمر أنّ عدم وضع بصمة عارٍ على الطلاق هي نتيجة هذه التحوّلات إلى حدٍّ ما، بيد أنّ ذلك يزيد من سرعته في الواقع[٤].

وفي حال تحوّل الطلاق إلى أمرٍ عاديّ في الحياة الاجتماعيّة، فهذا يترك نتائج مضرّةٍ على الصعيد الفرديّ وعلى الصعيد الاجتماعيّ حتّى الآن، وقلّة الإنجاب إحدى هذه النتائج، وفي الحقيقة بسبب تعدّد الطلاق وتكراره والتعامل معه كأمرٍ عاديّ دفع المتزوّجين في الغرب -قبل الزواج- للنظر إلى العلاقة الزوجيّة على أنّها ليست دائميّة وغير مستمرّة، وستنتهي بالانفصال عاجلاً أم آجلاً، مضافًا إلى أنّ هناك القليل منهم يرضى بإنجاب الأطفال؛ لأنّ ذلك ببساطة يعني ترتّب مسؤوليّات جديدة (Toffler 1980).

إنّ الاكتئاب النفسي الشديد والعاطفي لدى الزوجين، خصوصًا النساء، يجعل الحياة بعد الانفصال في مواجهة مشاكل جدّية، فالمقابلات التي أجراها «روبرت وايس» مع النساء والرجال المنفصلين في أمريكا ترسم مسارًا ونهجًا محدّدًا من التكيّف (Weiss 1976). والمرأة

١- دیباچه ای بر جامعه شناسی. ص٦٣.

2- Cohen Bruce

٣- وللمزيد من التوسع؛ انظر: جامعه شناسی خانواده، ص١١٨، [المترجم].

٤- در آمدی بر جامعه شناسی. ص١٣٣.

تتضرّر اقتصاديًّا أكثر من الرجل نتيجة الطلاق، ولكن مسار التكيّف النفسي والاجتماعي لديهما حسب الظاهر واحدٌ، وفي أكثر الحالات التي حقّق فيها «وايس» تزول قبل الطلاق العلاقة والاحترام اللذيْن يمكن أن يظهرهما كلٌّ من الزوجين تجاه الآخر، ويأتي مكانهما عدم الوثوق والعداوة، ومع ذلك يبقى نوعٌ من الإحساس العاطفي تجاه الآخر موجودًا؛ وعليه حتّى لو حصل شجارٌ شديدٌ بين الزوجين قبل الانفصال لكن سيجرب كلّ منهما كما يقول «وايس» ألم الفراق بعد الطلاق، فعدم وجود الزوج [أو الزوجة] في الحياة فجأة يوجِد الشعور بالاضطراب أو الخوف، وقد يظهر الشعور بالحزن والفرح في آنٍ واحدٍ وعلى نحو متعاقب، وبعد فترة يترك الحزن والفرح مكانهما للشعور بالوحدة، فهم يشعرون بأنّهم انفصلوا عن محيط الأسرة الآمنة التي يعيشها الآخرون مع كلّ [التحدّيات و] المسائل الواقعة (Giddens 1989).

وليس من شكٍّ في هذه الظروف أنّ أكثر الأضرار الروحيّة والمشاكل النفسيّة تتوجّه إلى الأطفال والأولاد، كما أنّه يصعب تقويم آثار انفصال الوالدين على الأولاد، فنسبة الخصومة بين الأب والأمّ قبل الانفصال، وعمر الأطفال حينذاك، وأن يكون لديهم أخ أو أخت أو لا، كلّ هذه العوامل والأسباب تؤثّر على عمليّة التكيّف.

وتفيد مراجعة نتائج الطلاق وعواقبه في أنّه يكون أصعب على الأطفال بشكلٍ مضاعف، ويظهر التحقّق أنّ الأولاد بعد انفصال الأب من الأمّ يعانون من الاضطرابات النفسيّة بشكلٍ واضحٍ.

قامت "جوديث والرشتاين" و"جون كيلي" بدراسة ستين طفلاً لأزواج حديثي الانفصال في مقاطعة "مارين كانتي"[1] من أعمال "كاليفورنيا" (Wallerstein, 1980) فبقيتا على تواصل مع الأطفال أثناء الطلاق في المحكمة وبعد سنة ونصف منه، وكذلك بعد خمس سنوات منه؛ وبناء على دراسة المحقّقين كان جميع الأطفال ١٣١ تقريبًا يعانون من اضطراباتٍ عاطفيّةٍ شديدةٍ أثناء الطلاق، فأطفال ما قبل المدرسة كانوا مرتبكين ومذعورين جدًّا، وكانوا عادةً يتّهمون أنفسهم بسبب الانفصال، أمّا الأطفال الأكبر، فكانوا قلقين جدًّا من آثار انفصال الوالدين على مستقبلهم وفي الأعم الأغلب كانوا يُظهرون الغضب

1- **Marin County -**

الشديد، ولكن وبعد مضي خمس سنوات من الطلاق أدرك المحقّقون أن ثلثي الأطفال عادةً كانوا يمارسون حياتهم ويؤدّون واجباتهم خارج المنزل بشكلٍ جيّدٍ، وثلث من الأطفال لم يكونوا راضين عن حياتهم أبدًا وكانوا يعانون من الاكتئاب والشعور بالوحدة (Giddens 1989).

إنّ دراسة نطاق الطلاق وآثاره وتبعاته على الأشخاص وعلى المراحل الحياتيّة الاجتماعيّة المختلفة أكثر من أن يسع في هذا المختصر، ولكن في كلامٍ واحدٍ -كما أذعن به أحد كتّاب مجلّة «بوستون كوارترلي»[1]- يلزم القبول بأنّه بسبب الطلاق لا تتهدّد المؤسّسات المستقلّة وحسب، بل يبقى وجود المجتمع [وبقاؤه] في خطرٍ محدقٍ (Lantz, 1977).

ولهذا السبب بالضبط حوّل حزب المحافظين في بريطانيا الأسرة إلى قضيّةٍ سياسيّةٍ خلال عقد الثمانينات، قالت «مارغريت تاتشر» في خطابها الموجّه إلى حزب المحافظين عام ١٩٨٦م: إنّ سياستنا تبدأ من الأسرة ومن حريتها ورفاهها[2].

٣.أطفال من دون راعٍ وأسر أحاديّة الوالد: إنّ الأسر أحاديّة الوالد (الولد من دون أب أو أمّ) وتوسّعها وارواجها أثرٌ وعلامةٌ على التفكّك الأسري، وبعبارةٍ أخرى؛ بُنيت حياة أحادية الوالد على أنقاض الأسر المدمَّرة وستكون بديلة عن الأسرة في العصر الحديث.

إنّ النساء والرجال الأوروبيين ليسوا مستعدّين بعد لتحمّل الزيجات غير السعيدة، فمن عام ١٩٦٥م حتّى الآن شهد الطلاق في جميع أوروبا زيادة ملحوظة، ومع كلّ ذلك؛ تقع حالات الطلاق في شمال أوروبا (الدول الإسكندينافية) أكثر من جنوب أوروبا (مثل فرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا)، وقد سهّل أولياء الأمور بروتكول الطلاق في أكثر الدول، وإحدى نتائج هذا التغيير ازدياد عدد الأسر أحادية الوالد؛ أي الأسر التي يعيش الولد فيها مع أحد الوالدين، وفي أكثر الحالات يعيش مع الأمّ (٩٠ بالمئة في فرنسا، و٩٣ بالمئة في دانمارك)، ومن منظار البرلمان الأوروبي يلزم اعتبار الأسر أحادية الوالدين جزءًا من

1- Boston Quarterly.

٢- آنتونی گیدنز، جامعه شناسی، ص٤٢٧.

الوحدة الأسريّة، ولا يجوز أن يتمّ أي تمييزٍ أو تفرقةٍ بشأنها[١]، أمّا «تافلر» في الموج الثالث و«مارتين سجالن» في علم الاجتماع التاريخي للأسرة يرون أنّ الحالة الجديدة مبنيّة على محوريّة الأمّ في المجتمعات الصناعيّة الجديدة، وقد تحدّثنا سابقًا عن الأسر أحاديّة الوالد وعن آثارها ونتائجها.

٤. العنف الأسري وقتل الزوج [أو الزوجة]: إنّ الخلافات الأسريّة في الغرب والعنف الناتج عنها وفق الإحصاءات والأرقام المقدّمة من قبل الغرب في ازدياد، والضرب وشتم الزوج [أو الزوجة] وقتله من الأمثلة البارزة للعنف في المجتمعات الغربيّة، وحسب قول الخبراء والمحقّقين في العلوم الاجتماعيّة إنّ أحد أكبر المشاكل في العصر الراهن الذي يعاني منه المجتمع الأمريكي هو العنف غير القابل للسيطرة.

ووفقًا للإحصاءات المتعدّدة التي أُجريت في السنوات الأخيرة في أمريكا ونشرتها المؤسّسات غير الحكوميّة والدوليّة، فإنّ نسبة العنف في أمريكا أكثر منها في سائر الدول من جهاتٍ كثيرةٍ، وحسب الإحصاءات لعام ١٩٩٢م خمس وعشرين بالمئة من النساء الأمريكيّات يتعرّضن شهريًّا للضرب من قِبَل أزواجهنّ أو من قِبَل الرجال الذين يعيشون معهنّ (Carillo. R 1992). ويمكن أن نعدّ العنف ضدّ المرأة داخل الأسرة من أكثر أنواع العنف في أمريكا شهرةً في هذا العصر، فـ: ٢٥ إلى ٣٠ بالمئة من النساء الأمريكيّات ضربهنّ أزواجهنّ ولو لمرّةٍ واحدةٍ كحدّ أدنى، وقرابة ٥٠ بالمئة من الرجال الأمريكيين يضربون زوجاتهم ثلاث مرّات كحدّ أدنى سنويًّا (Heise L. 1993).

تقول: «باربارا روبرت»[٢] في مقال لها بعنوان: «أي مكان ليس آمنًا، والحرب ضدّ النساء» «وفق تقديرات علماء الاجتماع فأكثر من ١/٨ مليون زوجًا في أمريكا يضربون زوجاتهم بشكلٍ وحشيٍّ، وفي دراسة أخرى اعترف ٢٨ بالمئة من الأزواج بوقوع اعتداء بالضّرب والعنف الجسديّ، ويعتقد الباحثون أنّ الرقم الحقيقي حتّى الآن للرجال الذين أهانوا وضربوا زوجاتهم يقترب من ٥٠ بالمئة من الأزواج، وتخلص «روبرت» إلى نتيجة مفادها

١- بيام يونسكو، ش٢٣٠، ص٣٦.

2- Barbara Roberts.

أنّه توجد حربٌ ضدّ المرأة في الخفاء وفي محيط الأسرة المقدّسة، وتذكر «فرنتش»[١] أنّه في كلّ ١٢ ثانية يضرب رجلٌ أمريكي زوجته، وفي كلّ يوم يؤدّي الضرب إلى أربع حالات وفاة، وقرابة ٢٠ بالمئة من النساء اللواتي يُبلّغن عن تعرّضهنّ للضّرب من قِبل أزواجهنّ الحاليين أو أزواجهنّ السابقين لا يستطعن تذكّر كلّ حالات الضّرب بسبب تعرضهنّ للضرب المتكرّر في الأشهر الثلاثة الأخيرة [إلى درجة فقدن ذاكرتهنّ] والرجال يهددون أكثر النساء اللواتي يضربونهنّ، هذا في حين أنّه لم يبق للنساء اللواتي تعرّضن للضرب أيّ سبيلٍ أو حلّ، فالكثير من الرجال يحكمون على النساء اللواتي تعرّضن للضرب من أزواجهنّ بأنّه لماذا لم يتركن أزواجهنّ؟ وحتّى إذا كان لدى المرأة المال الكافي لترك زوجها، وكان يتوفر لها المكان المناسب للعيش فيه، مع ذلك لا مهرب لها من الرجل الذي له طبعٌ سادي لهذا العمل؛ فحتى لو تركت المرأة منزلها وحاولت الاختفاء عن طريق تغيير اسمها، أو عنوان سكنها، لكن مع ذلك فإن مثل هذا الرجل المريض يظلّ يبحث عنها ليؤذيها. فنجد في الإحصاءات أنّه بشكلٍ يوميٍّ وبمعدّل حالة واحدة يقوم رجل بقتل زوجته بعد أن هربت منه بسبب الضرب واستطاعت أن تواجهه من خلال المؤسّسة أو أنّها حصلت على حكم محكمةٍ يمنع زوجها من الاقتراب منها، فهؤلاء الأشخاص عادةً يقتلون أولاد المرأة أو أيّ شخصٍ يكون قريبًا من مكان الحادث؛ فإحصاءات وزارة العدل تفيد بأنّ ٧٥ بالمئة من الهجوم الحاصل ضدّ النساء وقع بعد انفصالهنّ[٢].

يفيد تقريرٌ آخر بأنّه ازداد عدد النّساء اللواتي هربن من منازلهنّ بسبب العنف بمقدار الربع في السنوات ١٩٨٣م إلى ١٩٨٧م، أمّا في السنوات ١٩٧٦م إلى ١٩٨٤م ازداد قتل النساء إلى ١٦٠ بالمئة، وهذه الجرائم ليست صدفة، وليست نتيجة العنف المنزلي أو عدم وجود القانون في المجتمع، فعلى أقل تقدير ثلث النساء المقتولات قتلهنّ أزواجهنّ أو خطيبهنّ، وتمّ ذلك لأكثرهنّ بعد حصولهنّ على طلب منطقي وقانوني للطلاق.

رابعًا: تحليل الأزمة في الأسرة

إذا لم يؤمن أحدٌ بالقيامة ولا يحتمل السؤال والحساب، ويرفض حياة الآخرة، ويرى

١- أنتونى گيدنز، جامعه شناسى، ص٤٤٣.
٢- جنگ عليه زنان، ص٣٨.

أنّ عمر الإنسان يختصر في هذه الدنيا، فمن الطبيعي جدًّا والمعقول أيضًا أن تمضي حياته القصيرة بسعادة وهناء بحسب هذا المبنى والتوجّه، وأن يفضّل سعادته ولذّته على أي شيءٍ؛ وبعبارةٍ أخرى: طلب اللذّة والسعادة نتيجةٌ منطقيّة للعلمانيّة [واللّادينية]، ومن جهةٍ أخرى وعند إنكار مبدأ الوجود وتجاهله تصبح محوريّة الإنسان مكان محوريّة الله [سبحانه وتعالى] إذن؛ النزعة الإنسانيّة وليدة العلمانيّة، ومن المعلوم أنّ حصيلة النزعة الإنسانيّة ومذهب اللّذة هي الفرديّة [أو الفردانيّة].

إنّ إحدى علل السقوط السريع للشيوعيّة هي أنّها حبست العلمانيّة في قالب الإنسانيّة الجمعيّة وتجاهل اللّذة الفرديّة، وفي الحقيقة إنّ الشيوعيّة سلبت الله والآخرة من الناس كما أنّها من خلال شعار أصالة الجمع ضحّت بفرص الحياة السعيدة والتلذّذ لصالح المصالحة العامّة والجماعيّة، وأيًّا يكن: فالنظام الاجتماعي في الغرب يرتكز على أساس العلمانيّة والفردانيّة وأصالة النفع، والتزمت الحكومات بتأمين اللّذة وضمانها لجميع الأفراد بحيث لا تتضارب مع الآخر قدر الإمكان، وبموازاة الفردانيّة تمّ إحياء الحقوق الفرديّة يومًا بعد يومٍ، وتمّ ترويج ذلك، وبالمقابل أفلَ نجم الأخلاق وحبّ الآخر [الإيثار][1]؛ وذلك لأن الأخلاق تربط الفرد بفضاء ما وراء الفردانية وتحبّبه بالقيم المتعالية- إلّا على أرضية الدين والإيمان، فالعلمانية التي تحبس الإنسان في شرنقة الفردية تكون غريبة عن الأخلاق والسلوكيات الجمعية [غير الفردية]، وبسبب حكومة الفردانية وأصالة المنفعة فإنّ الإنسان لن يقدّم روحه وماله من أجل سعادة الآخرين، بل

١- فليس من دون سبب أن تكون الأديان الإلهية طيلة التاريخ مؤسسة الأخلاق الإنسانية، فلا يمكن إقامة خيمة الأخلاق -كما يقول «دوركايم» إن [الأخلاق] تربط الفرد بفضاء ماوراء الفردانية وتحبّبه بالقيم المتعالية- إلّا على أرضية الدين والإيمان، ووفقًا لقول القرآن الكريم: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ (الماعون: ١-٣)؛ فالفردية تفضي إلى تفكك الروابط الإنسانية وانهيار النظام والوحدة [أو التماسك] الاجتماعي؛ وهذه هي الآفة التي تنخر الأنظمة العلمانية من الداخل؛ وقبل سنوات [بعيدة] توقّع علماء علم الاجتماع الكبار مثل «إميل دوركايم» و«ماكس فيبر» من الفردية وحذّروا من عواقبها المدمرة. ولهذا السبب بالضبط اشتهر «دوركايم» (١٨١٧-١٩٥٧) بين علماء علم الاجتماع بأنه عالم اجتماعي وفلسفته «ضد النزعة الفردية» ومناهضة لها.

هب أن «دوركايم» عالم اجتماعي علماني بيد أنه في آخر كتاباته يمدح بشكل رائع الصورة الأولى للحياة الدينية (The Elementry forms of life Religious Life) ويرى أنّ الدين ضروري جدًا من أجل الوفاق والانسجام الاجتماعي ولا يمكن التراجع عنه، وأن الدين في أوسع المجالات يعدّ من المؤسسات الاجتماعية، ويمنح لمشاكل الناس الوجودية معنى خاصًّا، لأنه يربط الفرد بالسلوكيات ذات البعد الاجتماعي وبالقيم المتعالية؛ تلكم القيم التي لها في نهاية المطاف جذور في المجتمع؛ (نقلاً عن: زندگی واندیشه بزرگان جامعه شناسی، ص٢٠٠).

قد يحارب تلك القيم من أجل الحصول على المنافع الشخصية والفرص المحدودة؛ ولهذا فإنّ رواج الفرديّة ومأسستها وترسيخ طلب اللذّة في نسيج النظام العلماني في المجتمعات الصناعيّة الغربيّة أثارت أمواجًا عظيمة في الطبقات الحياتيّة المختلفة.

ومن حسن الحظّ؛ فإنّ الآراء الصريحة للمنظّرين النسويّين في الإطار النظريّ المذكور أعلاه رفع عن كاهلنا عبء التبيين والاستدلال وسهّل الخطب، فهم لا يأبون من قبول هذه الحقيقة وإعلامها بأنّ انهيار الأسرة وأسسها في الغرب نتيجة مواجهات على مدى عقودٍ عديدةٍ لحركة العلمانيّة وطلب المساواة للنساء، وأنّ النظريّة النِّسويّة مبنيّة على أساس السعادة الفرديّة، فتقول المؤلّفة النِّسويّة «أندره ميشل» في هذا السياق:

«وفي نطاق الحياة الخاصّة رفض النسويّون فكرة لزوم بناء السدّ في الحياة اليوميّة بين الحياة الشخصيّة والحياة العامّة وبين التعهّدات الأيديولوجيّة والأعمال اليوميّة، فإحصاءات كلّ الدول الغربيّة تبيّن انخفاض [نسبة] الزواج والإنجاب وكذلك ارتفاع نسبة الطلاق، خصوصًا لدى النساء، فتوسعة [نطاق] الزواج الحرّ والأسر الأحاديّة الوالد، والبحث عن الحياة العاطفيّة والغراميّة من دون الزواج لهي طرقٌ بديلةٌ عن الزواج التقليدي، والتي اقترحها النسويّون في كتاباتهم وأعمالهم [أو نشاطاتهم] اليوميّة، فالثورة في العادات الخلقية تتزامن مع الثورة الفكريّة النسويّة»[١].

وبهذه الرؤية لا يكون الطلاق مذمومًا فحسب، بل طريقًا لحياة سعيدة للنساء، ولتحررهنّ من مرارة الحياة المشتركة[٢]، وهذا بالضبط سبب تسهيل برتكولات وعمليّة الطلاق في الكثير من الدول الغربيّة من قبل أولياء الأمور[٣]، لكنّ النسويّين غفلوا عن هذه الحقيقة وتجاهلوا أنّ الطلاق وإن كان سهلاً وسريعًا في الظاهر لكنّه نتيجة فترةٍ طويلةٍ من الأزمة الأسريّة، عندها على كلّ أفراد الأسرة تحمّل الآلام الشديدة إلى حين وقوع الطلاق، فـ: (الاختلاف، وعدم الانسجام، والشجار، والزعل [أو المقاطعة] والضرب والشتم و ...) فهذه الآلام ومتاعب الطلاق وآثاره المخرّبة ترافق الضحايا، لا سيّما الأطفال، إلى

١- جنگ علیه زنان، ص٣١٠-٣١١.
٢- جنبش اجتماعی زنان، ص١٢٦.
٣- آندره میشل، پیام یونسکو.

فترات بعد الطلاق، بل قد يؤدّي في بعض الأحيان إلى حالة الانتقال والقتل من طرفٍ واحدٍ، فارتفاع نسبة العنف الأسري ضدّ النساء إلى جانب حالات الطلاق ليس عبثًا، فـ: «استيفان مور»[١]، و«بروس كوثن»[٢] يؤكّدان هذا الأمر في كتاباتهما بأنّ المرتكزات النسويّة ومكوّناتها (إحياء الحقوق الفرديّة والتسهيل القانوني للنساء في الطلاق، والعمل، والاستقلال الاقتصادي للمرأة، وسيطرة روح السعادة في الحياة الفرديّة) أفضت هذه الأمور إلى ازدياد حالات الطلاق وانهيار الأسرة في الغرب.

وفي هذا السياق، يشير «مور» إلى تفاصيل أكثر ويقول: «في الماضي لما كنّا نقول إنّ الرجل هو معيل الأسرة غالبًا، فكان معنى ذلك أنّه باستطاعته الحيلولة دون مبادرة زوجته في أمر الطلاق، [بيد أنّ] ازدياد نسبة شغل المرأة خارج المنزل، وتقديم الخدمات القانونيّة بعد الطلاق بشكلٍ واسعٍ، وتسهيل أمر الطلاق، كلّ ذلك مكّن المرأة من أخذ زمام الطلاق بيدها»، وهو يشير إلى الفساد والخلافات الأسريّة المضاعفة نتيجة عمل المرأة خارج المنزل، ويقول: «كما قلنا في الماضي؛ شاهد الكثير من المحلّلين بأنّه وإن كان العدد الكبير من النساء يعملن خارج المنزل مع ذلك يتوقّع الكثير من الرجال أن يقمن بالأعمال المنزليّة ومسؤوليّة رعاية الأطفال، والتوتر الحاصل نتيجة هذه التوقّعات والمطالبات المختلفة في محيط الأسرة يمكن أن يدفع الزوجين إلى التفكير في أمر الطلاق»[٣].

والحقيقة من منظار «مور» أنّ التأكيد المفرط على الحقوق الفرديّة، وعمل النساء، واستقلالهنّ الاقتصادي ترك ثلاثة آثار مباشرة على بنيان الأسرة، وهي:

- **أولًا**: ضعف الترابط القائم على الحاجة المتبادلة بين أفراد الأسرة -وبالخصوص لدى الزوجين-.

- **ثانيًا**: وبسبب عدم الاهتمام المطلوب والكامل من قبل النساء بأمور المنزل والتربية

١- والحاصل هو أنّ ارتفاع استقلال النساء اقتصاديًّا المتزامن مع قناعتهن المتنامية بحقوقهن سمحت لهنّ باللجوء إلى الطلاق في حال عدم رضاهنّ عن العلاقة الزوجية؛ وفي الحقيقة إن أكثر مطالبات الطلاق (٧٣ بالمئة) كانت من قبل المرأة؛ ديباچه اى بر جامعه شناسى، ص٧١.

٢- آندره ميشل، پيام يونسكو.

٣- در آمدى بر جامعه شناسى. ص١٣٣.

أفضى إلى ازدياد حالات الخلاف الأسري وعدم الانسجام بين [الزوجين].

- **ثالثًا:** ازدياد قدرة النساء على التفاوض من أجل الطلاق وللتحرّر من معاناة الحياة [الزوجيّة] المشتركة[١].

فمن وجهة نظر علماء الاجتماع، لم يقتصر تأثير النزعة الفرديّة القائمة على المتعة [أو المتعوية][٢] في إعاقة الزواج وتشكيل الأسرة فحسب، بل أدّت أيضًا إلى تفكّك الأسر القائمة وتشتيتها، فهم يعتقدون أنّ «ازدياد نسبة الطلاق في هذه الدول ليست ظاهرة هامشيّة وفرعيّة بحيث يمكن أن تتقلّص في المستقبل، بل هي نتيجة مفهومٍ جديدٍ للزواج، ألا وهو الزواج الهشّ الناتج عن العلاقة الجنسيّة والشهوانيّة» (J. PIEL). ويعود ذلك إلى سيطرة الفرديّة والمتعة (اللذّاتية) وعناصر النسويّة على أركان الأسرة، وما في ذلك من الآثار المدمّرة في المجتمع الغربي.

فبعد الثورة الصناعيّة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أصبحت الرؤية العقليّة الديكارتيّة والفكر المنطقي الحسابي التحليلي هي الحاكمة على العاطفة الغريزيّة والشعور الديني، أمّا الفرديّة (**L'individualisme**) بالمعنى الدُرْكَايْمي -أي الاستقلال الفردي في مواجهة المجتمع أو الأنانيّة الفرديّة- فقد حلّت محلّ الروح الجماعيّة الواحدة أي نحن) وهي (الاشتراكيّة الدُرْكَايْميّة)، كما أنّه حلّ مبدأ المنفعة (**UTILITE**) محلّ مبدأ القيمة (**Valeur**)، وحلّ مبدأ الواقع (**reality**) محلّ المثالية (**Idealism**)، وحلّت الأصالة الغريزية المادّيّة محلّ الأصالة القائمة على الميول الروحيّة، كما حلّ مبدأ الرفاه والتمتّع بالحياة محلّ السعي إلى الكمال والتقوى والاستغناء، وفي نهاية المطاف؛ وأخيرًا، حلّت الطبيعة محلّ ما وراء الطبيعة، والعلم محلّ الإلهام، واللّذة محلّ العفّة، والسعادة محلّ الكمال، والراحة محلّ التقوى، وحسب قول "فرانسيس بيكون" حلّت

١- تتناول "مارتن سيغالان" هذا الموضوع في كتاباتها: بأن أكثر حالات عمل المرأة سبب حصول التصدع الأسري، وتجلّت كأمر إشكالي ومعقّد، فعمل المرأة في المجتمعات المتحضرة والحديثة -خلافًا للمجتمعات الريفية الزراعية- يتجه نحو تحقيق الأهداف الفردية والشخصية، ويميل إلى هوية وطبيعة شديدة التنوعّ؛ وفي أكثر الحالات فإنّ المرأة العاملة هي التي تحرّك ملف الطلاق؛ جامعه شناسى تاريخي خانواده، ص٢٨٦.

٢- الهيدونية Hedonism كلمة أصلها يوناني مشتقة من Hédoné أي السرور، ومعناها الأوسع "اللذة"، ويفيد هذا المذهب الأخلاقي أنّ جميع الأفراد يمتلكون الحق بفعل كل شيء وعلى وفق ما أوتوا من قدرة للحصول على المتعة او اللذة؛ وتعظيمها يتحتّم بلوغ فكرة المتعة الصافية مطروحًا منها الآلام [المترجم].

القوّة محلّ الحقيقة؛ ثمّ يتابع شريعتي قائلاً: إنّ هذا التحوّل الروحيّ والفكريّ والتحوّل العميق للقيم الإنسانيّة وتغيير الجهة الرئيسة للثقافة والمعرفة والإحساس والحياة في الأسرة وفي العشق وفي العلاقة بين الرجل والمرأة ونظرة الرجل إلى المرأة ووضع المرأة في المجتمع تجاه الرجل وفي صلب الحياة وفي الأدب والفنّ والأحاسيس تركت آثارًا ثوريّة عميقة، والمرأة التي كانت في الماضي أحد أفراد الأسرة، بل التي إذا لم يكن لها شخصيّةٌ إنسانيّةٌ مستقلّةٌ لكانت ذابت في الأسرة -التي كانت بمثابة روحٍ واحدة-، حصلت على الاستقلاليّة اقتصاديًّا رويدًا رويدًا؛ لأنّها استطاعت أن تعمل في الخارج؛ ولأنّ الحياة الصناعيّة والنشطة والمعقّدة الجديدة والتوسّع اليومي للمشاغل الاجتماعيّة أخرجت المرأة من بيتها وأودعتها في العمل.

ومن الملاحظ أنّ استقلال المرأة اقتصاديًّا أدّى إلى استقلالها أيضًا من الناحية الاجتماعيّة، ومن ثمّ اكتسبت إلى جانب الزوج والأبناء وجودًا ذاتيًّا وأصبحت مستقلّة، فالمرأة حينئذٍ قبل تكوين الأسرة لها أيضًا استقلال فرديّ؛ ولأنّها اكتسبت النمو العقلي والمنطقي؛ فتلقائيًّا لن يكون سلوكها مع الآخرين؛ سواء مع الزوج أو المعشوق أو الأب أو الأسرة ناشئًا من الحس العاطفي أو المنحى الفطري والجذبة غير الاختياريّة، بل سيكون على أساس المحاسبات العقليّة والنظر الدقيق بناءً على المنفعة والمصلحة، فالـرؤية الحسابيّة والواقعيّة والتحليليّة والعمليّة، والنزعة الفرديّة، ومراعاة المصلحة والمنفعة، والاهتمام بالفرد، وأصالة الغرائز، والسعي إلى اللّذة والتمتّع والراحة، والسعي إلى السعادة، حرّرت المرأة من الكثير من القيود الاجتماعيّة والأسريّة والمذهبيّة، وفي الوقت ذاته سلبت منها الكثير من الإحساسات العميقة والمبهمة وغير العقلية والعاطفيّة والإنسانيّة؛ فصارت وحيدة لأنّها جعلتها مستقلّةً.

أثبت "دوركيم" أنّه في الماضي كانت الروح الجماعيّة قويّةً، لكن بالمقدار الذي تطوّر فيه التعقّل ونما فيه الاقتصاد و[الإحساس بـ:] الفرديّة -من الناحية الاقتصاديّة- قطع هؤلاء ارتباطهم الأسريّ والعلاقة العاطفيّة والعقديّة التقليديّة والروحيّة وأصبحوا مستقلّين، وهذا الاستقلال منحهم الكثير من الامتيازات، مثلما أنّ البنت ذات ١٨ سنة تستطيع بكلّ سهولةٍ

ويسرٍ الحصول على شقّة في مبنى سكني، وأن تعيش وحدها فيه من دون أيّ مشرفٍ أو راع، كما أنّ المرأة في الأسرة تستطيع أن تحصل على الكثير من الحرّية، لأنّها تمتلك الاستقلاليّة في الاقتصاد، فمتى ما امتزجت حياتها بالألم تستطيع ترك الحياة [الزوجيّة أو الأسريّة]؛ لأنّ لها حقوقًا فرديّةً؛ ولأنّها تمتلك الاستقلال الاقتصادي، ولأنّ سلوكها عقلاني، فليس من المعقول أن تتحمّل الأذى والألم من أجل الآخر، وأن تغضّ الطرف عن صحّتها وسلامتها من أجل رجلٍ أو من أجل شكرٍ واحترامٍ أو من أجل الوفاء بالعهد والحفاظ على عهد ما أو على علاقةٍ ما؛ فلن تغض الطرف ولن تهمل [نفسها وصحّتها]؛ لأنّ مسائل الوفاء والإيثار والشكر والاحترام والعهد والارتباط والعشق هي مسائل روحيّةٌ وأخلاقيّةٌ وليست قابلة للتحليل العقلي والمنطقي.

«أفدي بحياتي ليعيش الآخر»، و«أتحمّل الألم والأذى كي يسعد الآخر ويعيش بهناء» هذه معادلةٌ غير منطقيّةٌ، أنا لست محتاجةً إلى الآخر، وبالتالي من يستطيع الإجابة على السؤال الآتي:

لماذا أضحّي بنفسي وأبقى وفيّة من أجل الآخر الذي لا أحتاج إليه؟ لماذا أتحمّل من أجل رجلٍ ضعيفٍ وقبيحٍ كان في السابق رجلاً جميلاً وقويًّا وكان لي عهدٌ معه وكان هو الوحيد آنذاك إلى جانبي، وأترك الرجل الجميل والقوي الموجود أمامي والذي يلبّي روحي ويشبع غريزتي؟

هي مسألة يطرحها "سارتر" بالنحو الآتي: "هناك زوجةٌ لرجلٍ ليس لها أيّ جاذبيّةٍ، وفي حياتها رجلٌ جذّابٌ يعشقها أيضًا، فالحساب المنطقي واضحٌ، وكلاهما يحتاجان إليها: أحدهما لأنّه زوجٌ لها، والآخر لأنّه يعشقها، لكن المرأة لا تحتاج الأوّل وتريد الثاني، وإذا بقيت وفيّةً لزوجها فقد ضحّت بحاجتين مقابل حاجة واحدةٍ، وإذا تركته فقد ضحّت بحاجةٍ واحدةٍ مقابل حاجتين فواجب المرأة أصبح معلومًا، والعقل أصدر حكمه القطعي، وهذه معادلة رياضيّة دقيقة، فالعامل الذي يدفع المرأة كي تضحّي بحاجتين مقابل حاجةٍ واحدةٍ من المؤكّد أنّه ليس عاملاً وسببًا منطقيًّا، فلا "ديكارت" ولا "فرويد" يفهمان هذا الأمر، إذ المرأة العاقلة تحسب [بالعقل] وتسلك السلوك المنطقي؛

والاستقلال الاقتصادي والحقوق الاجتماعيّة تمكّنها أيضًا من القيام بهذا العمل.

فعندما يولد طفلٌ يقيّد حياة الوالدين، والعقل لا يقبل أن نضحّي بحريّة إنسانين من أجل إنسانٍ واحد، فإمّا لا ينجبون الطفل، وإمّا يتركونه بعد الولادة عند المربّية أو في مؤسّسة رعاية الأطفال؛ إذن انحلّت كلّ العقد غير العمليّة والإحساسات غير المنطقيّة والقيود الأخلاقيّة والتقليديّة والنفسيّة والوجدانيّة التي كانت تمسك بالمرأة وتقيّدها في إطار المجتمع وفي عمق روح الأسرة، وكانت تربطها بعشرات من الأنسجة المبهمة وغير المعقولة وغير العلميّة وتدفعها إلى التحمّل والوفاء والمسامحة وإيثار الزوج والطفل والبيت والأسرة والأقرباء والأصول والقيم الحياتيّة والعاطفيّة، فقد كانت أواصر الأسرة والأقرباء قويّة وعميقة وغير قابلة للتوصيف، لكنّها انحلّت وذابت، وبالتالي فالاستقلال الاقتصاديّ والاجتماعيّ والروحي، والرشد العقلي وغلبة المنطق على الإحساسات، وسيطرة الرؤية الواقعيّة على الحقيقة بدلاً من أن تعزّز الروح الجماعيّة في الفرد قوّت فيه روح الفرديّة والاستقلاليّة، وبالتالي تحقّق هذا الأصل وهو: أن تنفصل [المرأة] عن الآخرين وتعيش الوحدة بمقدار تمتّعها بالحريّات والإمكانات الاجتماعيّة الكثيرة.

«الوحدة أكبر آفة القرن»؛ فقام «هالبواكس» في كتابه الموسوم بـــ: «الانتحار»، و«دوركايم» في كتابه الآخر بذات العنوان: «الانتحار» بدراسة الانتحار في أوروبا من منظار علم الاجتماع.

يعتبر الانتحار في الشرق حدثًا استثنائيًّا، لكنّه في أوروبا ليس حدثًا بل ظاهرة اجتماعيّة، وليس أمرًا واقعًا بل حقيقةٌ واقعيّةٌ، بحيث يزداد منحناه أكثر في المجتمعات المتقدّمة يومًا بعد يوم، فالانتحار في أسبانيا -التي هي بلد متخلّف نسبة إلى أوروبا- أقل، ولكن نسبة وقوعه في أوروبا الشماليّة أكثر، وفي أمريكا الشماليّة أكثر من الجميع، وهذا المنحنى يختلف في بلدٍ واحدٍ أيضًا، فقد تتفاوت النسبة بين القرية وبين المدينة، وفي المدينة الواحدة بين الأماكن الراقية المتقدّمة وبين أقسامها المتخلّفة، وفي مجتمعٍ واحدٍ يختلف من فئةٍ مذهبيّةٍ ومتجدّدةٍ إلى فئةٍ مذهبيّةٍ قديمة، لأنّ الناس يعيشون الوحدة.

كان المذهب يربط الأفراد بعضهم ببعض، وكان يُوجِد روحًا مشتركةً في أتباعه

ويجعلهم في أنس مع الله، وفي الماضي كان كلّ شخصٍ له مئات الروابط من الداخل مع القربى والأسر، ومع المعارف ومعه الارتباط القومي، لكنّ الغنى الاقتصاديّ والاجتماعيّ جعل الأشخاص في غنى عن بعضهم؛ فبدلاً من الناس المحيطين بالفرد وبدلاً من الأسرة والجيران والأب والأمّ والولد والصديق والقريب يدافع المجتمع عنه ويقدّم إليه حاجاته المادّيّة والمعنويّة، وفي الوقت ذاته يهجم النموّ العقلي والمنطقي أيضًا على النسيج الروحي والمذهبي التقليديّ؛ فالرشد العقليّ والمنطقيّ الرياضيّ والحسابيّ وروح المادّة والغريزة والتمتّع بها يُزعزع هذه الروابط الروحيّة غير العقلانيّة، ويصبح الشخص مستقلاً، ويصبح فردانيًّا، ويستغني عن الآخرين ثمّ يصبح "وحيدًا"؛ لأنّ الآخرين أصبحوا كذلك، ولمّا لم يكن لهم حاجة إليه فينفصلون عنه، وأيّ شخصٍ قد يطلبه أو يريده بناء على مصلحةٍ ما، فيعيش الشخص في جزيرته المستقلّة، ثمّ يهجم عليه الانتحار الذي أصبح جار الوحدة والملاصق لها.

تختار المرأة زوجها، والرجل يختار زوجته، لكنّ السبب الذي يجذب الرجل والمرأة -وهما مستقلّان وقادران ومستغنيان- نحو بعضهما هو الجنس والعاطفة والعشق والمحبّة والعلاقة الاجتماعيّة والسنّة، والميل نحو الأنيس والرفيق والجليس والجذبة المبهمة غير القابلة للتوصيف و... لقد مات اليوم صوت [هذه الأمور] إذن ما السبب؟ حسابٌ عقلانيٌّ ورخوٌ وظلاميٌّ أو ضرورةٌ قانونيّةٌ أو قدرةٌ ما؟

فالحريّات الجنسيّة -التي تبرز في فكر الرجل والمرأة بشكلٍ رسميٍّ منذ البلوغ وبشكلٍ عملي متى ما رغبا بها- توجد هذه العقيدة بأنّه من أجل إرضاء الغريزة الجنسيّة يكفي وجود الغريزة الجنسيّة، وإذا كانت ضعيفة يستطيعان جبران الضعف بالمال، فوجود المال بمستويات مختلفة يمكّن الإنسان من إرضاء الغريزة الجنسيّة.

وعلى أيّ حالٍ؛ يمكن بشكلٍ دائمٍ وفي أي سنٍّ إمّا يكون "دون جوان" عصره أو "أُوناسيس"، فالسيدة الأولى في الولايات المتّحدة الأمريكيّة يمكن شراؤها بالمال، أمّا فرقها مع اللواتي يقفن على مفترق الطرق هو في السعر، وحيث يتمتّع البنت والشاب بالحريّة الجنسيّة، فليس من المناسب وهما في ذروة الغريزة الجنسيّة وشدّتها أن يقيّدا

نفسهما كلّ العمر؛ ومع ذلك، فإنّ المنطق والعقل والحساب وأصالة اللّذة في الحياة والتمتّع والفرديّة والواقعيّة، لا يُصدر أيٌّ منها حكمًا مفاده أنّ الفرد الواحد يحبس حريّاته المختلفة واستمتاعه بالجمال وبالجاذبيّات والأشكال المتنوّعة في فردٍ واحدٍ.

يمضي الرجل والمرأة فترة الذروة الجنسيّة بكلّ حرّيّةٍ في المراقص والمطاعم وأماكن التنزّه والمجالس وهكذا، وعندما تعي نفسها ترى من حولها الفراغ [الواسع]، لا يطلبها أحدٌ بعد ذلك، وإذا طلبها أحد فيكون ذلك من أجل إحياء الذكريات الماضية.

أمّا الرجل فقد أمضى تجربته الجنسيّة بكلّ حرّيّةٍ، وقد قطف من كلّ حديقةٍ زهرةً، ومن كلّ زهرةٍ أخذ عبقها؛ وبعد ذلك لم يبق له لذّة ممتعة، وخملت الغريزة الجنسيّة عنده، وحلّ محلّها حبّ الجاه والمال والشهرة والمقام، كما أنّه يتجلّى فيه تنظيم البيت وتنظيم الأسرة في كيانه.

وعندما تشعر المرأة بالخطر بعد ذهاب الكلّ من حولها، وعندما يتعب الرجل من الحرّيّات والتجارب الجنسيّة المتنوّعة واللّامتناهية التي اشمئز منها، وبعد مضي درب طويل، يشعر كلٌّ منهما بالحاجة إلى الآخر، ويجدان نفسهما إلى جانب بعضهما، وقد يقرّرا تشكيل الأسرة.

وعلى الرغم من أن الأسرة ستنشأ من حاجة كلٍّ منهما إلى الآخر؛ لكن ما يحيط هذه الأسرة وسياج هذا البيت هو هلع المرأة وخوفها من الإفلاس، وهروب الرجل من تعب الحياة والسئم منها! فتكون الأسرة قد تشكّلت، لكن بدلاً من العشق ومن قوّته المثاليّة وبدلاً من التوأمة المشاعريّة بينهما وحصول نبض الحبّ عندهما والإحساس بالعظمة والجلال، حلّ التعب والملل مكان كلّ ذلك، فلا جديد في الحياة وهما يعلمان ما الخبر: إنّه لا خبر.

لا يوجد شيءٌ يتمسّك به القلب، يعلمان لماذا وجد بعضهما بعضًا، وما حاجتهما لبعضهما؛ فبالمعرفة التامّة وبالمحاسبات الدقيقة والصحيحة والعقليّة طلب بعضهما بعضًا، ويعلم كلّ واحد منهما أنّ الطرف الآخر من خلال قوله "روحي فداك" ماذا يريد، فاتّخذ كلّ واحد الآخر وسيلةً لاحتياجه، وكلاهما يفدي روحه للآخر، ولكن تمامًا في

اتّجاه معاكس للاتجاه الذي نعرفه.

ولهذا في أيّام الزواج تمتلىء قاعة البلدية الجميلة -حينما لا يسمحون لهم في الكنيسة- ويأتي شخصٌ على صدره بطاقة على هيئة موظّفٍ إداريٍّ لا على هيئة رجلٍ دين (وفي وجهه النورانيّة والإيمان والحرمة والقداسة) ويعلن الرجل زوجة للمرأة [أي الزوجة] وهما أشبه بقوالب السكر المخروطيّة المزوّرة، فيقرأ اسمهما من القائمة ويحصل على "نعم"، وفي الوقت نفسه نجد أنّه عادةً يكرّر عدد من الأطفال كلمة "نعم"، ويظهر ذلك أنّ كلمات "نعم" تمّ فرضها على الزوجين أو الأبوين، ثمّ يدفع إليه بعض المال ويوقّع أسفل القائمة، حينئذٍ ينتهى كلّ شيءٍ، ويعود الجميع إلى منزله، والملفت هنا أنّه من بين مئتين أو ثلاثمئة عروس ارتدى ثلاثون شخصًا منهنّ فقط لباس الزفاف محتجّات بأنّه في هذا العمر وبهذا الوضع المعيشي والغلاء، وهذا اللون من الحياة، لا يكون لباس الزفاف بهذا الشكل مناسبًا لنا.

ثمّ تذهب المرأة إلى العمل والرجل إلى عمله وكلّ واحدٍ منهما يذهب إلى موعدٍ غراميٍّ مسبق في المطعم ظهرًا ويتناول الطعام هناك؛ هذا لو كان لحفلة الزواج سرور وبهجة، وإلّا تتحوّل إلى حفلةٍ عابرةٍ منسيّةٍ، فينسيان ماذا حصل؛ وفي الأعم الأغلب عند باب البلديّة يقف الزوج والزوجة حائرين بأنّه بعد هذه الفترة الطويلة التي كانا يعيشان معًا وكانا في حجر بعضهما بعضًا، ولعلّه حينذاك فقدَا وعيهما، فبعد هذ المشوار الطويل في الحياة المشتركة قبل الزواج ينظران إلى بعضهما نظرة برود، ثم ماذا بعد؟! وأين يذهبان؟! هل يذهبان إلى الرحلة التي ذهبا إليها آلاف المرّات؟ إلى المنزل؟ لقد جاءا أصلاً من المنزل، وما الشيء المميّز عندهم حينئذٍ؟ لا شيء، والأفضل أن يذهب كلّ واحدٍ منهما إلى العمل كالسابق، كما هو الأمر دائمًا وكلّ يوم، هكذا تتكوّن الأسرة، وكلّ من الزوجين (المرأة والرجل) وجدا بعضهما بعضًا بعد المحاسبات الدقيقة وأوجدا شركة اقتصاديّة، أو أنّهما سلّما أنفسهما لأمر الزواج بعد إجبار القانون، وذلك بعد أن وُلد لهما طفلٌ، الذي بدوره كان سبب زواج والديه، وهما سيتحمّلان أعباء الحياة المشتركة من دون أيّ سرورٍ وبهجةٍ وحيويّةٍ، فليس لديهما أيّ حاجةٍ إلى الآخر، ولا يبحثان عن الدفء، وليس بينهما

سرٌّ ولا أنسٌ مشتركٌ، ولم يبدأ شيءٌ بينهما، ولم يتغيّر عندهما شيءٌ، ولا لغزٌ في الذهن، ولا نبضٌ في القلب، ولا بسمةٌ على الشفاه.

هكذا تهتزّ عروش الأسرة؛ لأنّها بُنيت مهزوزة، ولا يجد الأطفال في الأسرة أيّ بهجةٍ ودفءٍ وجاذبيّة، ولأنّ الوالدين ليسا مستعدّين للتضحيّة بحرّيتهما فيسلّمان الطفل إلى مركز الرعاية مع دفع مبلغٍ له شهريًّا، ويستمرّان في قضاء حرّيّتهما، ومن ثمّ بذات المنطق والعقل اللذين جمعاهما في أسرة واحدة ينفصلان عن بعضهما، فتنهار الأسرة حينئذٍ، لأنّ ذات المنطق والرؤية والروح والإمكانات مسيطرةٌ على الوضع، إذ الرجل الذي تحسّس عددًا كبيرًا من الأحضان الدافئة والشابّة لا يمكن لزوجته [الشريكة القديمة] المتعبة والفاقدة لحيويّتها ونشاطها في سلوكها الجنسي أن تلبّي حاجته، وهذا ما يجعل الرجل ينفرّ منها، وكيف يمكن أن تشبعه وتحافظ عليه؟ وعلى العكس تعانق الزوجة إلى صدرها زوجها المنهك والمتعب الذي تقدّم به العمر وهي تحمل في ذاكرتها مئات المقارنات؛ والنتيجة عندئذٍ واضحةٌ، وفي هذه الحال، تكون خارج هذا المنزل كلّ الأحضان مفتوحة من دون حماسٍ ولا حيويّة ولا جاذبيّة والمقاهي نارها مشتعلة والمحافل والتجارب السابقة في المراكز الرسميّة وغير الرسميّة متوفّرةٌ... ومع ذلك؛ العامل الذي يُبقيهما في المنزل على الرغم من هذه الأمور هو عاملٌ غير عقلي.

الخاتمة

- المراد من الأسرة هنا الزوج والزوجة اللذين أبرما بينهما عهد الحياة الزوجيّة المشتركة والدائمة، وسيشكّلان مع الأولاد حياةً مشتركةً ودائمةً.

- تبرز أزمة الأسرة في الغرب بانخفاض نسبة الزواج، وازدياد عدد النساء والرجال الذين يعيشون وحدهم، وزيادة حالات الطلاق، وازدياد عدد الأطفال الذين يعيشون دون رعايةٍ أسريّةٍ، أو يعيشون مع أحد الوالدين فقط.

- القلق من انهيار الأسرة في الغرب من جملة المباحث التي بات لها حضور قوي هذه الأيّام لدى الخبراء والمنظّرين، وتتنوّع فيها آراء المتخصّصين وأصحاب الرأي ورجالات الدولة.

- يطلق مصطلح الفردانية على مجموعة النظريّات والاتجاهات السياسيّة والاجتماعيّة التي تقدّم الفرد وتمنحه الأولويّة على الجماعة، أو تعمل على استبعاد النظريّات والنماذج الكلّيّة والاجتماعية؛ فالفرد هو مرجع القيَم وأساسها، وإرادته وحدها هي الحَكَم في تفسير الظواهر الاجتماعيّة والتاريخيّة.

- من الواضح في الدراسات الاجتماعية أنّ الفردانية مفردة من مفردات الفكر الغربي الهادف إلى اعتبار «الفرد وحدة مرجعيّة أساسيّة بالنسبة إلى ذاته، وأنّ الفرد حرّ، وهو الذي يقرّر مهنته ويختار شريكه، ويمارس «معتقداته» بكلّ حرّيّة، ويعبّر عن آرائه..»[١]

- إنّ أخطر ما في ظاهرة الفردانية أنّ الإفراط في النزوع نحو الفردانية سيؤدّي حتمًا إلى تفكّك البناء الأسري، وتحلّل العلاقات الإنسانية، وانهيار البناء الاجتماعي مقابل تضخّم الذوات وترسّخ المادية والأنانية، وتحوّل الإنسان الكامل إلى إنسان ناقص عابث لا يهمّه سوى إشباعاته المادية حتى لو كانت افتراضية، إن لم يكن يصدّقها هو، فإن سلوكات الأفراد تجعله يصدّق ذلك رغمًا عنه، فيغرق في الفردانية.

- من الآثار المباشرة للفردانيّة أنّ العلاقات داخل الأسرة الواحدة بدأت تأخذ منحى الاستقلالية الفردانية لكل فرد من أفرادها وعلى كل المستويات، حتى أنّنا أصبحنا نتحسّر

١- خليل، خليل أحمد، المفاهيم الأساسيّة في علم الاجتماع.

على أوقات اجتماع الأسرة في الأيام الخوالي ويأخذنا الحنين رغمًا عنّا إلى ذكريات الماضي، فصار العارفون والمتخصّصون في مجال علم الاجتماع، فضلاً عن العامة من الناس ينبّهون إلى خطورة تفشّي هذه الظاهرة.

- إنّ التأكيد المفرط على الحقوق الفرديّة، وعمل النساء، واستقلالهنّ الاقتصادي ترك ثلاثة آثار مباشرة على بنيان الأسرة، منها؛ ضعف الترابط القائم على الحاجة المتبادلة بين الزوجين وسائر أفراد الأسرة. وازدياد حالات الخلاف الأسري وعدم الانسجام بين [الزوجين]. وازدياد قدرة النساء على التفاوض من أجل الطلاق للتحرّر من معاناة الحياة [الزوجيّة] المشتركة.

- من الملاحَظ أنّ استقلال المرأة اقتصاديًّا أدّى إلى استقلالها من الناحية الاجتماعيّة أيضًا، ومن ثمّ تكتسب إلى جانب الزوج والأبناء وجودًا ذاتيًّا وتصبح مستقلّة.

- يبرز من علائم انهيار الأسرة في الغرب وفق التحقيقات الاجتماعيّة؛ انخفاض نسبة الزواج وبناء الأسرة وارتفاع عدد النساء والرجال غير المتزوّجين، تصاعد معدلات الطلاق والانفصال في الأسر الغربيّة، وجود الكثير من الأطفال من دون راعٍ وأسر أحاديّة الوالد، فقد بُنيت حياة أحادية الوالد على أنقاض الأسر المدمّرة وستكون بديلة عن الأسرة في العصر الحديث.

- من الملاحظ انتشار العنف الأسري وقتل الزوج [أو الزوجة]: وحسب قول الخبراء والمحقّقين في العلوم الاجتماعيّة إنّ أحد أكبر المشاكل في العصر الراهن التي يعاني منها المجتمع الأمريكي تتمثّل بالعنف غير القابل للسيطرة.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت.

٢.- ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ١٤٠٥ هـ.

٣. مور استيفن، با همكاری استفن سينكلر، ديباچه ای بر جامعه شناسی، ترجمه مرتضی ثاقب فر، ققنوس، تهران ١٣٧٦.

٤. سگالن مارتين، جامعه شناسی تاريخي خانواده، ترجمه حميد الياسی، چاپ سعدی، تهران ١٣٧٠.

٥. كوئن، بروس، در آمدی بر جامعه شناسی، ترجمه محسن ثلاثی، انتشارات فرهنگ معاصر، تهران ١٣٧٠.

٦. الوين، تافلر، موج سوم، ترجمه شهيندخت خوارزمی، نشر فاخته، ١٣٦٣.

٧. اسلامی نسب، علی، رفتارهای جنسی انسان، نشر حيان، ١٣٧٦.

٨. اعزازی، شهلا، جامعه شناسی خانواده (با تآكيد بر نقش ساختار وكاركرد خانواده در دوران معاصر)، تهران، انتشارات روشنگران ومطالعات زنان، ١٣٧٦.

٩. اينگهارت، رونالد، تحول فرهنگی در جامعه پيشرفته صنعتی، ترجمه مريم وتر، انتشارات كوير، تهران ١٣٧٣.

١٠. حلم سرشت، پريوش ودل پيشه، اسماعيل، جمعيت وتنظيم خانواده، انتشارات چهر، ١٣٧٩.

١١. دوبوار، سيمون، جنس دوم، ترجمه قاسم صفوی، انتشارات توس، تهران.

١٢. راسل دنيز، زنان جنون وپزشكی، ترجمه فرزانه طاهری، ققنوس، تهران، ١٣٧٥.

١٣. روشندل، جليل ورافيک قلی پور، سيمای زنان در جهان -امريكا، زير نظر دكتر پريچهر شاهسوند بغدادی، مركز أمور شركت زنان در رياست جمهوری، برگ زيتون، تهران ١٣٧٧.

١٤. زنان در اروپای شرقی، سلام، ١٣٧٩/٢/٨.

١٥. ساروخانی، باقر، مقدمه ای بر جامعه شناسی خانواده، سروش، تهران١٣٧٥.

١٦. سروش، عبد الكريم، اوصاف پارسيان، موسسه فرهنگی صراط، بهار١٣٧١.

١٧. سند چهارمين كنفرانس جهانی زن، كارپايه عمل واعلاميه پكن، مترجمان (علی آرين - علی مير سعيد قاضی)، دفتر أمور زنان در نهاد رياست جمهوری، زمستان ١٣٧٥.

١٨. شجاعی، محمد، در وصدف، نشر محيی، ١٣٧٧.

١٩. فالودی، سوزان، جامعه زنان امريكا چه مشكلی دارند، ترجمه زهره زاهدی، نشريه زنان، ش١٣.

٢٠. كتابی، احمد، در آمدی بر انديشه ها ونظريه های جمعيت شناسی، پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، تهران.

٢١. كلانتری، صمد، جمعيت وتنظيم خانواده، انتشارات فروغ ولايت، أصفهان ١٣٧٨.

٢٢. گيدنز، آنتونی، جامعه شناسی، ترجمه منوچهر صبوری، نشر نی، تهران ١٣٧٦.

٢٣. مارلين، فرنچ، جنگ عليه زنان، ترجمه توراندخت تمدن (مالكی)، علمی، تهران ١٣٧٣.

٢٤. مشايخی، مهدی، سوداگران فحشاء در عصر پهلوی، ميثم، تهران ١٣٥٧.

٢٥. ميشل، آندره، پيام يونسكو، مارينا، سارا، ميشل وژان، ش٢٣٠.

٢٦. ـــــــــ، پيكار با تبعيض جنسی: پاكسازی كتاب، خانه مدرسه وجامعه از كليشه های تبعيض جنسی، ترجمه جعفر پوينده، انتشارات نگاه، تهران ١٣٧٦.

٢٧. ـــــــــ، جنبش اجتماعی زنان، ترجمه دكتر هما زنجانی زاده، نشر نكيا، مشهد بهار ١٣٧٧.

٢٨. نشريه زنان، ١٣٧٧/١٠/٢٢.

٢٩. وين- خبرگزاری جنهوری اسلامی/١٩٩١.